مخاطر الإنترنت النفسية والاجتماعية لدى المراهق

أ. بلخضـــر محمـــد
قسم علم الاجتماع والديمغرافيا
جامعة الأغـــــواط

مقدمة :

إن تكنولوجية ووسائل الاتصالات المتقدمة، قربت العالم من بعضه البعض وألغت حدوده السياسية والجغرافية، وأصبح بمثابة قرية صغيرة، ولا يمكن لدولة أن تغلق حدودها وفضاءها في مواجهة المد العلمي وآثاره الوافدة إليها من بلدان العالم ، لاسيما ما يتم تداوله عبر شبكة الإنترنت أو عبر الفضاء الإلكتروني.

فمن خلال الإنترنت يمكن للمرء متابعة الحدث لحظة وقوعه وعلى بعد عشرات الآلاف من الكيلومترات وبذات أبعاد حصوله ودقائقه وتفصيلاته.

فلا يمكن للدولة ما التخلف عن ركب التطور العلمي ومن سماته الانخراط في شبكة المعلوماتية العنكبوتية العلمية وهي شبكة الإنترنت، والأفراد الذين يستخدمون هذه الشبكة يختلفون في ميولاتهم وأغراضهم. فالشخص الذي يميل للانحراف أو يقع في الجريمة، قد يسلك طريقاً معيناً في نشاطه الإجرامي فهناك من يمارس ألعاب القمار وهناك من يدمن الخمر أو يمارس أعمال الدعارة وهناك من يخصص في تعاطي المخدرات أو الإتجار فيها، وهناك من كان العنف سبيله للعيش سواء أتمثل في الضرب أو القتل (1).

وهناك من يعتنق أفكاراً تنعت بالأفكار المتطرفة أو معادات الآخرين، وهناك من يسرق... وكل هؤلاء يمكنهم لا لتعبير عن أنفسهم من خلال شبكة الإنترنت، ولهم المواقع الخاصة بهم التي يروجون فيها أفكارهم ومبادئهم، وعن طريق هذه المواقع

تنتقل عدوى هذه الأفكار إلى مستخدمي الشبكة ومتصفحي هذه المواقع، التي تكتسب بعض المتعاطفين معها .. فشبكة الإنترنت كما عبر عنها أحد الخبراء عبارة عن نهوض تعاونية ليس لها إدارة مركزية تتحكم فيها.والسؤال الذي يطرح نفسه في هذه المداخلة:

- هل للإنترنت أثر إيجابي في حياة المراهقين ؟
- وهل يشكل الإنترنت خطر على المراهقين ؟

1- التعريف بالإنترنت :

قبل التعريف بالإنترنت لا بد أن نتعرف على جهاز الكمبيوتر فكلمة Computer كلمة إنجليزية مشتقة من كلمة To computer، والكمبيوتر آلة تعمل بالطاقة مجهزة بمجموعة مفاتيح كبرى كهربائية، ودوائر إلكترونية، وفيها أقسام للتخزين، وأخرى للتسجيل تعمل كعمليات حسابية بسرعة فائقة ودقة بالغة وعي تطلق على الكمبيوتر تسميات شتى مثل : العقل الإلكتروني، الحاسب الإلكترونية، أو الحاسب الآلي والحاسوب(2).

فحاجة العلوم لطرق سرعة لمعالجة البيانات، بأقل تكلفة أدى إلى اختراع أجهزة من ماكينات الكهروميكانيكية وتطويرها إلى أن وصلت إلى الحاسوب الإلكتروني، وقد ساهم الحاسوب بدوره كنقطة تحول في خدمات معالجة البيانات.

ويعرف الإنترنت بأنه توصيلات تعاونية لهدد من شبكات الحاسبات الآلية، وهي مكونة من كلمتين هما Inter connection وكلمة Network وهذا يعني أن مئات نمت الشبكات المربوطة مع بعضها البعض، مكونة من حواسيب آلية مختلفة تم توصيلها ببعضها البعض بطريقة بسيطة تبدو وكأنها قُطعة واحدة. فالإنترنت عبارة عن حاسب آلي يتحدث إلى حاسب آلي آخر يرتبطان بواسطة سلك التليفون العادي، أو أي فرع آخر من الكوابل (3).

والإنترنت لا يملكها أحد، وإنما هي ملكية تعاونية لبشرية، بقدر إسهامهم فيها، في بدايتها كانت مقتصرة على الاستخدامات العلمية والبحثية[4].

2- ماهية المراهقة ومعناها:

إن كلمة مراهقة « Adolescence » مشتقة من الفعل اللاتيني Adolescere ومعناها التدريج نحو النضج الجنسي والانفعالي والعقلي، وهنا تتضح الفروق بين كلمة مراهقة، وكلمة بلوغ « puberty» فالبلوغ يقتصر معناه على النمو الفيزيولوجي والجنسي، وهي مرحلة تسبق المراهقة مباشرة، وفيها تنضج الغدد التناسلية، ويصبح الفرد قادراً على التناسل، والمحافظة على نوعه واستمرار سلالته.

وكثيراً ما تستخدم كلمتا المراهقة والبلوغ على أنهما مترادفتان، وفي الحقيقة أن ثمة اختلافاً فنياً في معنى اللفظتين، فكلمة مراهقة تطلق على مرحلة تبدأ بالبلوغ وتستمر حتى مرحلة النضج أي فيما بين حوالي سن 20/12.[5]

تحديد مرحلة المراهقة :

في تحديد مرحلة المراهقة اختلف علماء النفس فبعضهم يتجه على التوسع في تحديدها، فيرون أن فترة المراهقة يمكن أن يضم إليها الفترة التي تسبق البلوغ، وبذلك يعتبرونها بين العاشرة والحادية والعشرون (21/10) بينما يحصرها بعض العلماء في الفترة ما بين (19/13).

ويمكن تقسيم مرحلة المراهقة إلى المراحل الآتية :

أ. مرحلة ما قبل المراهقة أو أحياناً ما قبل البلوغ :

ويطلق على هذه المرحلة أيضاً "مرحلة التحفز والمقاومة"، وهذه المرحلة بين السن (12/10) قريباً.

ويظهر لدى الفرد عملية التحفيز وتمهيداً للانتقال إلى المرحلة الثانية من النمو. كذا تبدوا المقاومة نفسية تبذلها الذات ضد التحفز الميول الجنسية، ومن علامات هذه المرحلة فزيادة إحساس الفرد لجنسية ونفوذ الفتى من الفتاة والابتعاد عنها. وكذا تجنب الفتاة الفتى، وفي هذه المرحلة يشعر الفرد بالحرج الشديد ويخشى تهكم أقرانه ورفاقه إذا ما شاهدوه يلعب مع الفتيات.

ب. المرحلة المبكرة (16/13) عاماً :

تمتد منذ بدء النمو السريع الذي يصاحب البلوغ حتى بعد البلوغ بسنة تقريباً عند استقرار التغيرات البيولوجية عند الفرد. وفي هذه المرحلة المبكرة يسعى المراهق إلى الاستقلال، ويرغب دائماً في التخلص من القيود التي تحيط به. وفي هذه الفترة يستيقظ لدى الفرد إحساس بذاته وكيانه.

ج. المراهقة المتأخرة :

سن (21/17) عاماً وفيها يتجه الفرد محاولاً التكيف مع المجتمع الذي يعيش فيه حيث يتعود على ضبط النفس والابتعاد عن العزلة والانطواء تحت لواء الجماعة. حيث تقل نزعاته الفردية، ولكن في هذه المرحلة تتبلور مشكلة في تحديد موقفه بين عالم الكبار وتتحدد اتجاهاته إزاء الشؤون السياسية والاجتماعية.

وبداية المراهقة تختلف من فرد لآخر، فبعض الأفراد يكون بلوغهم مبكراً في سن 12 سنة أحياناً، وبعضهم قد يتأخر بلوغه حتى سن17. ومرحلة المراهقة تختلف من مجتمع لآخر باختلاف ثقافة المجتمع لآخر باختلاف ثقلافة المجتمع، فالتغيرات النفسية عند المراهق ليست بالضرورة ناتجة عن التغيرات الجسمية في المراقهة فحسب بل هي، نتيجة الثقافة الموجودة في البيئة التي يعيش فيها الفرد(6).

ونستخلص مما سبق أن بداية المراهقة ونهايتها تختلف من فرد لآخر، ومن نوع لآخر ومن سلالة لأخرى ومن جنس لآخر، ومن مجتمع لآخر. ويتعرض المراهق في هذه المرحلة إلى النمو الفيزيولوجي والجنسي وكذا الحسي والحركي.

النمو الفيزيولوجي :

يقصد به تلك التغيرات في الأجهزة الداخلية للإنسان وتشمل :

1- تغيرات في غدد الجنس :

تنشط غدد الجنس وهي المبيضات عند الأنثى والخصيات عند الذكر عند البلوغ. وتفرز الحيوانات المنوية عند الذكور والبويضات عند الإناث ويصاحب ذلك نمو الأعضاء الجنسية.

2- تغيرات في إفراز الغدد الصماء :

يكون لبعض الغدد الصماء أهمية بالغة في إحداث التغيرات المختلفة التي تطرأ عند المراهق، فنجد أن هرمونات الغدد النخامية لها أثر قوي على النمو عامة وعلى هرمونات الغدد الجنسية ونمو العظام خلال مرحلة المراهقة، ونجد أن كل من الغدد الصنوبرية والغدة التيموسية تظهر في مرحلة المراهقة وذلك عند بدء نشاط الغدد الجنسية. هنا تتأثر هرمونات الغدة الدرقية بالنضج الجنسي فتزداد في بدء المراهقة ثم تقل بعد ذلك قرت نهايتها.

3- تغيرات عضوية في الأجهزة الداخلية :

عند البلوغ تحدث تغيرات في الأجهزة الداخلية للجسم إذ ينمو القلب بنسبة أكبر من الشرايين، فيزداد ضغط الدم 80 مليمتراً في سن 06 سنوات إلى 120 مليمتراً في بداية المراهقة ويؤثر ضغط الدم المرتفع على كل من الجنسين وتبدو أثره في حالة الصداع والإغماء والقلق والتوتر، لذا نجد أي مجهود بدني شاق يؤثر على حالة

المراهق النفسية والبدنية.[7]، ولدينا تغيرات جنسية ثانوية، منها : التغيرات الجنسية الثانوية لدى الفتى، التغير الظاهر من صوت رفيع غلى صوت خشن، إحساس المراهق بنمو قامته.

- النمو الجنسي :

هذا النمو أيضاً يرتبط بالنمو الجسمي والفزيولوجي وينقسم إلى 03 مراحل :

1- مرحلة ما قبل البلوغ :

هذه الفترة يظهر فيها الخصائص الجنسية الثانوية ويظهر على المراهق في هذه المرحلة القلق والتوتر نتيجة التغيرات الطارئة حيث يشعر المراهق بقوة خفية غامضة تُربكه.

ولكن خلال هذه المرحلة يتبدل ميول الفتى المراهق أو الفتاة إلى نفس الجنس، وكثيراً ما يواجه الفتى أو الفتاة عاطفة حب إلى شخص أكبر منه سناً من نفس الجنس - ما يسمى بالتعلق العاطفي- أو من جنس آخر "عبادة الطفل".

ونظراً لانتشار التلفزيون والسينما وشبكات الإنترنت حيث أصبح أبطال السينما هم أكثر الأشخاص الذين يختارهم الفتيات.

2- مرحلة البلوغ :

هذه الفترة تبدأ الغدد الجنسية في أداء وظائفها وإن كان المراهق لم ينضج النضج الكافي.

فالبلوغ هو قمة النمو الجنسي. وتميزه العادة الشهرية عند الإناث وإفراز الحيوانات المنوية عند الذكور. ولا يعني البلوغ على أية حال النضج الجنسي الكامل [8].

3- ما بعد البلوغ :

هنا يمكن للمراهق أن يؤدي وظيفته التناسلية كاملة وهذا ما يترتب على اكتمال الوظائف العضوية ونضج الأعضاء التناسلية. ففي هذه المرحلة لا يمكن للمراهق أن يشبع ميوله الجنسي بطريقة طبيعية مباشرة، فيلجأ إلى طرق ملتوية لإشباع دوافعه الجنسية والشيء المضاف في هذه المرحلة هو تغير نظرة المراهق من الرومانسية إلى الميول الجنسي الصريح ومن نظرة المثالية غلى نظرة الجنسية.

النمو الحركي :

في بداية هذه الفترة يكون المراهق توافقه الحركي غير دقيق، فالحركات تتميز بعدم الاتزان فنجد المراهق كثيراً ما يصطدم بالأشياء التي تعترضه. ويساعد على عدم استقراره الحركي إلى أن يصل المراهق غلى قدر من النضج، تصبح حركاته أكثر توفقاً.

النمو العقلي المعرفي:

يختلف الذكاء في سرعة نموه عن القدرات الطائفية الأخرى فنجد أن نمو الذكاء تهدأ سرعته خلال فترة المراهقة، فنجد أن بين 14 إلى 17 سنة تتناقص نسبة الذكاء. أما القدرات العقلية الأخرى مثل القدرة اللغوية، القدرة العددية والمكانية...إلخ تظل في نموها المضطرد خلال هذه الفترة فقد أثبتت بحوث سيجل Segal ودياموند Diamand أهمية الذكاء. تعرضنا سالفا إلى المراهقة ومراحلها وكذا التغيرات التي تطرأ على المراهق لنمر إلى ثقافة استعمال الانترنت .

3- نشر ثقافة الإنترنت في المجتمع :

إن تطور الهائل لشبكة الإنترنت وانتشار المواقع الضارة وتحايل أصحاب هذه المواقع المستمر لتخطي أنظمة الوقاية والحماية تجعل من تفوقه مناعة الأبناء وتعزيز

رفضهم الذاتي للمخاطر التي تتضمنها الشبكة هو الوسيلة المثلى والفعالة لحماية ووقاية المراهقين من الأضرار.

ووصل عدد مستخدمي الإنترنت في الدول العربية حوالي (16 مليون مستخدم تقريباً) وهذا العدد ضئيل بالنظر إلى عدد السكان في البلدان العربية، ويعكس في الوقت ذاته تدني في مستوى ثقافة الإنترنت. الأمر الذي ينعكس سلباً على مدى استفادة العرب من التقنيات المتاحة ولا سبيل أمامنا للتقدم إلا بنشر هذه التقنية والإلمام بها إلماماً كافياً يساعدنا على الإفادة من مزاياها وتجنب مخاطرها.

ونشر ثقافة الإنترنت حسبما يرى بعض المختصين يتطلب من الجهات التي تملك الخبرة المعلوماتية المتقدمة، ونظم أمن المعلومات، أن يعدوا العدة لمواجهة المخاطر المترتبة على المعلوماتية، ويتعين تضافر الجهود بين شرائح وفئات المجتمع المختلفة بالتعاون مع كل الجهات المعنية مثل وزارة التربية والتعليم العالي، حيث يكون ذلك التعاون هدفه نشر ثقافة الإنترنت من خلال توعية الآباء، وحماية المراهقين من المخاطر الكامنة في شبكة الإنترنت وعليه فيجب التركيز على عملية نشر ثقافة الإنترنت أو المعلوماتية على النقاط الآتية :

1- تحذير الأبناء من إعطاء معلومات شخصية عن أنفسهم للأشخاص الذين يتم التعارف بينهم عن طريق الإنترنت.
2- تحذير الأبناء من مخاطر تنظيم لقاء مع أحد الأشخاص من معارف الإنترنت وجهاً لوجه دون استشارة الوالدين أولاً.
3- تعليم الأبناء عدم الرد على ما يتلقونه من رسائل إلكترونية مريبة.
4- إرساء قواعد واضحة تنظم استخدام الأبناء لشبكة الإنترنت .
5- استخدام أنظمة حماية برامج تتيح للآباء معرفة المواقع التي زارها الأبناء عند انشغال أو غياب الآباء أو تمنعهم تلقائياً من الدخول إلى المواقع المحظورة[9] .

6- وضع جهاز الكمبيوتر في مساحات مفتوحة كالمكتبات المدرسية .

7- وجود الرقابة الوالدين حتى يتسنى لهم مراقبة المراهق الذي يدخل إلى المواقع المحظورة.

4- المشاكل التي تعترض المراهقين:

إن مرحلة المراهقة ينمو وينضج الفرد فيها بفعل العوامل البيولوجية، فهذه المرحلة الحرجة يحتاج فيهَا الفرد إلى إعادة تقسيم نفسه والبحث عن طرق وأساليب ووسائل جديدة للتوافق وإعادة عمليات التكيف، كما تعتبر المراهقة فترة غامضة بالنسبة للمراهق حيث تغمره وتعترض المراهق في هذه الفترة مشاكل أهمها :

1- ابتعاد المراهق عن والديه

2- انعدام الحوار بين الابن والوالدين

3- سوء التوافق النفسي والاجتماعي عند المراهق

4- لجوء المراهق إلى طرق ملتوية لبلوغ غاياته.

5- فتور العلاقات الاجتماعية بين المراهق ومحيطه الاجتماعي.

ذكرنا سابقاً مرحلة المراهقة وما تحدثه هذه المرحلة من تغيرات.و يتعرض المراهق إلى مشاكل نفسية واجتماعية تعترض طريقه فيلجأ إلى طرق ملتوية ربما لحل مشاكله من بينها، لجوئه إلى الإنترنت، بدخوله إلى مواقع محظورة إلى تعرضه الأخطار والتي تؤثر سلباً على حياته.

5-المخاطر النفسية والاجتماعية للإنترنت على المراهقين :

في ظل انعدام الرقابة المركزية على شبكة للإنترنت ومهما حاولت الدول عن طريق شبكاتها الداخلية التحكم في المادة المعلوماتية التي ثبت عبر الإنترنت وتسلل المراهقين من هنا تظهر الخطورة في المواد المخالفة التي ثبت عبر هذه الشبكة

وتتضمن الحض على الجريمة والدعوة إلى إفساد الأخلاق وتؤكد بعض الدراسات والأبحاث العلمية أن أغلب الخبرات الضارة اكتسبها الأطفال والأحداث المنحرفين من شبكة الإنترنت بدءاً من تعاطي المخدرات وممارسة الفجور وحتى اكتساب المعلومات التي تتعلق بمحاولة من اختراق الشبكات المعلوماتية بمراكز إستراتيجية في دول كبرى متقدمة [10].

1- فيعيش المراهق في حالة صراع دائم مع نفسه، حيث يغمره الفضول للدخول في مواقع الإنترنت دون رقابة من هنا تبدأ مشاكل سوء الاختيار، والذي ينتج عنه وقوع المراهقين في مخاطر الإنترنت، حيث يعتمد المراهق على الشبكة اعتماداً كلياً حتى يتحول إلى كائن إلكتروني.
2- وقوع المراهق في العنف وجنوح الأحداث.
3- انفصال المراهق عن الواقع المعاش ويرجع السبب في إدمانه على الإنترنت.
4- يؤثر على *تحصيله الدراسي، مما يعرضه إلى الرسوب المدرسي.*
5- دخول المراهق إلى مواقع الجنس، نظراً لتعرضهم إلى مشاكل وأزمات نفسية وعاطفية .
6- تعرضهم إلى مشاكل صحية كآلام في الظهر، وآلام في الرقبة نظراً لبقائهم ساعات طويلة أمام الإنترنت.
7- فتور العلاقات الاجتماعية باستبدالها بعلاقات جديدة عبر الإنترنت.
8- تزايد المحادثة عبر الإنترنت (الزواج من خلال الشبكة) مما يؤثر على العادات والتقاليد الاجتماعية.

ومن هنا نتساءل عن الخطة العلمية والمنهجية لمواجهة هذه التقنية أو محاولة تكييفها سلوكياً ؟

الاقتراحات :

لقد أصبح من الممكن عل كل فرد ربط اتصالاته مع الآخرين بالرغم من وجود مسافات بعيدة، وهذا عن طريق شبكة الإنترنت.

وكحلول اقترحناها لتجنب مخاطر الإنترنت على المراهقين هي :

1- وضع الرقابة على المواقع المحظورة التي تشكل خطراً.

2- مشاركة الأسرة والمؤسسات التربوية بوضع خطط علمية وقائية للدخول في المواقع المحظورة.

3- التفكير الجاد في معالجة إدمان المراهقين على الإنترنت

4- كيفية الاستعمال الجيد للمواقع والتي تمد المراهقين بالمعلومات المهمة.

5- تحسيس المراهقين بمدى خطورة بعض المواقع وذلك بتنظيم ملتقيات وأيام تحسيسية.

6- الاهتمام بفئة المراهقين، بداية من الأسرة إلى المدرسة حتى المجتمع، وذلك بمنحهم الفرصة على التعبير عن أنفسهم

7- البحث عن المؤشرات الموضوعية لإدمان هذه الفئة على الإنترنت.

الخاتمة :

إن شبكة الإنترنت هي الزائر دون مقدمات وعلى قدر إيجابياته، قد يؤدي في حال انعدام الرقابة إلى آثار أقل ما توصف أنها خطيرة ومدمرة، فتحاول الدول، وحافظاً على أجيالها لاسيما الأطفال والمراهقين، أن تمنع تسرب المواقع المحظورة إلى شبكاتها المحلية، بوسائل متقدمة، مع ذلك فالجريمة المعلوماتية تتقدم بصورة أسرع من سبل الحماية والوقاية، وعليه فإنه من واجب الفرد المجتمع جعل شبكة الإنترنت شبكة ذات الوجه الإيجابي في حياة الناس فهذه مسؤولية المجتمع.

الهوامش :

1- عوض سيد (جابر) وعبد الموجود (أبو الحسن) : الانحراف والجريمة في عالم متغير، سلسلة كتب مجالات الخدمة الاجتماعية، مصر 2004.

2- بيومي حجازي (عبد الفتاح) : الأحداث والإنترنت، دراسة معمقة على أثر الإنترنت، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 2004.

3- العيساوي(عبد الرحمان) : سيكولوجية النمو، دار النهضة العربية، القاهرة، 1974.

4- معوض ميخائيل(خليل) : سيكولوجية النمو، الطفولة والمراهقة، دار الفكر الجامعي، ط3، الإسكندرية، 1993.